النيل إلى مجثم الخزان ، فإذا هو متحبس ماء جبار رابض فى قاع من جلمد الصخر ، شيدته معجزة العلم الحديث بين ضفتين شامختين ومرتفعات راسخة ، حصرت الماء الذى رأيناه منبثقاً من خلال الخزان ، وكأنه أسنان مشط يرجل ضفائر عروس النيل ، فكان الزبد يعلو ثم يهوى فيتفجر دقيق الرؤوس ضخم الأجسام ثم تتناثر منه الأقدام برذاذ كأنه ضباب أو دخان .

وتولّع بنا صبية عوّامون فى النيل حول الخزان ، وما راعنا إلا صغير منهم أسود الأديم قفز من ارتفاع عشرين متراً فهوى إلى الماء جنبنا وكأنه باشق حالك ، ولما غاص فى الماء ثم عام أخذ يتقلب وكأنه سمكة سوداء .

وكذلك عدنا من أسوان ، بمسيرة يوم وبعض يوم ، معنا لذكراها أوعية من القش موشاة بالألوان ومراوح منسوجة ذوات طرر ، وقلائد من العاج سآخذها معى إلى الشام لأذكر بها أسوان كما ذكرتها من قبل إذ قرأت كتب العقاد .

(القاهرة) وراد سكاكينى

بعـــد الرصافى . . .

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

الآن ختم جيل الشعر فى العراق ، وانطوت صفحة أخيرة من كتابه ، بعد أن فاضت روح معروف الرصافى . فقد توفى صباح يوم الجمعة الماضى ، الصادف ١٦ آذار سنة ١٩٤٥ فى الأعظمية ببغداد .

وبموت الرصافى تبدأ صفحة جديدة فى عالم الشعر العراق ، وتنتهى سلسلة الشعراء الكبار الذين امتدت حياتهم بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، والذين كان آخرهم فى العراق — قبل الرصافى — جميل صدقى الزهاوى .

وحياة الرصافى تختلف عن حياة كل من عاصره من الشعراء من عدة وجوه . وليس المجال متسعاً للافاضة فى تاريخ حياته ، لأن ذلك لا يتسع له مجال محدود ، بل الأجدر أن تقوم فئة بتدوين حياته تدويناً علمياً ، ولكن نقطة الاختلاف التى أشرت إليها تنحصر فى عقدة نفسية كانت بارزة فيه . هى شدة حبه المطلق للحرية بجميع معانيها ، حتى لقد كان هذا الحب الجارف أشبه بالقيد الذى قيد حياته ، وأثر فى نفسه تأثيراً عظيما . فهو من قبيل القيد النفسى الذى تقيد به العبيد والمتصوفون . ومن مظاهر هذا القيد الحق فى نظرى ، حياته الأخيرة البائسة قبيل وفاته ، حيث انزوى وانقطع عن العالم ، وأصبح يعيش مهملاً .

ومن المآسى النفسية أنه كان فى وضعه ذاك يأنف أن يشار إلى حالته بغير ما لا يأتلف وكرامته الجريحة . فقد أذاع بياناً على الناس قبيل وفاته رفض فيه النغمة التى كانت ترددها بعض الصحف عن بؤس حالته وقال إنه يتبع فلسفة أبى العتاهية الذى يقول :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

وهذه حركة تدل على أنفته وكبريائه الجريحين اللتين خفف من حدتهما السن والمرض .

ولقد أدى الإهمال وسوء الحال بصحة الرصافى إلى التردى يوماً بعد يوم مع أنه يملك جسما يكاد يكون عملاقاً . ومن مميزاته الشكلية وضوح النظرة ، وجهارة الصوت ، وقوة العارضة .

***

عرف الناس الرصافى الشاعر الذى لاحدود لصراحته ولارقيب على لسانه غير ما يعتقد ، منذ زمن بعيد ، كما عرف بكرمه الزائد وعدم انصياعه للضرورة مهما كان شكلها . وهاتان الخلتان تكفيان لأشقاء فرد فى العراق لا مال له ولا سلطان ، ولا يعتمد اعتماد القرابة أو النسب على ذوى المال والسلطان . ولذلك كانت حياته سلسلة من تشرد ضيق الحدود ، فيه فوق صفة التشرد التزام الحشمة التى ينبغى على رجل كالرصافى أن يؤدى جزيتها .

ومن غريب المفارقات أن الرصافى كان يستخدم اسمه وشهرته وحب الناس له فى قضاء حوائج غيره ممن لا يرتدعون عن اللجوء إليه فى طلب الشفاعات ، ولعله كان أجدرهم بطلب الشفاعة لو أنه كان يأبه للضروريات ، ولو أن نفسه تقبل التوسيط والرجاء .

ولقد نبذ الزى المدنى منذ زمن والتزم زى البدو من العشائر ، وسكن قبل مدة فى الفلوجة إحدى القرى القريبة من بغداد ،